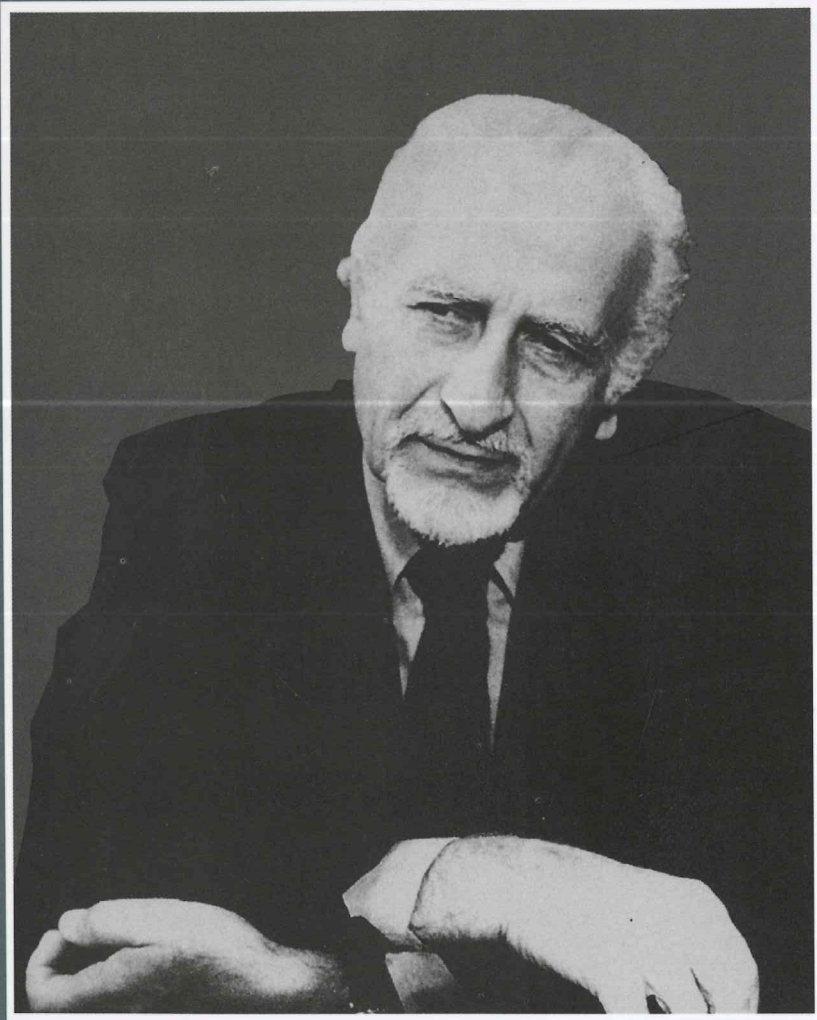


محاضرة يوسف صايغ التنموية



محاضرة يوسف صايغ التنموية هي محاضرة تعليمية وتوجيهية ترمي إلى إحياء ذكرى البروفيسور يوسف صايغ ودوره الرائد في دراسات التنمية والتطوير للاقتصاد الفلسطيني. ويقوم بتنظيم هذه المحاضرة التخليدية معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس) ومركز دراسات التنمية في جامعة بيرزيت

محاضرة يوسف صايغ التنموية

يوسف عبد الله صايغ (1916 - 2004)

كان يوسف صايغ أبرز اقتصاديي التنمية الفلسطينية في القرن العشرين، باحثاً وشخصية وطنية، كرس تفكيره النقدي لخدمة قضية شعبه. وكان رائداً في بحوث التكامل الاقتصادي العربي وآفاق التنمية المستدامة في فلسطين، مما مهد الطريق لتصبح هذه المواضيع تخصصات بحد ذاتها. ولقد عُرف باستقلاله الفكري ومواقفه المبدئية خلال وجوده كعضو في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حيث لعب دوراً في بناء قدراتها في التخطيط الاقتصادي الاستراتيجي. ولقد توج الأستاذ يوسف صايغ حياته المهنية ودوره الوطني بعمله الدؤوب في قيادة الفريق الذي قام بإعداد برنامج منظمة التحرير الفلسطينية للتنمية والذي تم نشره عام 1993.

معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس)

يكرس معهد ماس جهوده لإنتاج بحوث اقتصادية تحليلية عالية الجودة حول قضايا وسياسات التنمية في فلسطين. وتهدف أبحاث المعهد إلى المساهمة بدعم قرارات السياسة الاقتصادية وزيادة الوعي العام بالطبيعة متعددة الأوجه والإشكالية للتنمية الفلسطينية. ولقد كان الأستاذ يوسف صايغ عضواً في أول مجلس أمناء للمعهد.

مركز دراسات التنمية في جامعة بيرزيت

تم تأسيس المركز عام 1997 كبرنامج متخصص في أبحاث التنمية الاقتصادية وتدريبها.

وتماشياً مع تقاليد هاتين المؤسستين، واعترافاً بالمساهمات الفكرية والوطنية للبروفيسور صايغ، قرر المعهدان إطلاق محاضرة سنوية تحمل اسم "محاضرة يوسف صايغ التنموية". وسيلقي المحاضرة كل عام شخصية أكاديمية بارزة وستكون حدثاً عاماً يلتقي فيه المهتمون بقضايا التنمية إلى جانب صانعي القرار وطلبة الجامعات.

محاضرة يوسف صايغ التنموية هي محاضرة تعليمية وتوجيهية ترمي إلى إحياء ذكرى البروفيسور يوسف صايغ ودوره الرائد في دراسات التنمية والتطوير للاقتصاد الفلسطيني.

محاضرة يوسف صايغ التنموية لعام 2009 تم تنظيمها بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الاونكتاد) وسوف يلقيها السيد جومو كوامي سندانام، الأمين العام المساعد للتنمية الاقتصادية في منظمة الأمم المتحدة، وهو شخصية بارزة في اقتصاديات التنمية والناشط من أجلها، متحدثاً حول "إستراتيجية التنمية: دروس من الأزمة الاقتصادية العالمية".

سيتم بث المحاضرة على الهواء مباشرة في جميع أنحاء فلسطين والعالم من خلال نظام الأمم المتحدة للبث على الانترنت على العنوان:

www.unctad.org

محاضرة يوسف صايغ للتنموية 2009 برعاية شركة فلسطين للتنمية والاستثمار (باديكو)

يوسف عبد الله صايغ سيرة حياة

ولد يوسف صايغ عام 1916 في البصة في الجليل الفلسطيني، وعاش وعمل في فلسطين منذ 1925 حتى النكبة عام 1948. ولقد حصل على درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال عام 1937 ودرجة الماجستير في الاقتصاد من الجامعة الأمريكية في بيروت ثم حصل على الدكتوراه في الاقتصاد السياسي عام 1957 من جامعة جونز هوبكنز. وبينما كان يعمل في القدس عام 1946 ألف الأستاذ يوسف صايغ دراسة عن "جوع الأرض العربية في فلسطين" والتي تم تضمينها في التقرير المقدم إلى اللجنة الأنجلو-أمريكية لاستقصاء الحقائق، وفي هذه الدراسة وضع نظاماً مبتكراً لتقييم أسعار الأراضي.

وفي السنة التي سبقت النكبة تم تعيين يوسف صايغ مديراً "لبيت المال": الخزينة الوطنية، حيث أوجد نظاماً حديثاً مبتكراً يجمع بين ضريبة الأفراد وضريبة الدخل.

وعند عودته إلى الجامعة الأمريكية في بيروت أصبح أستاذاً للاقتصاد منذ عام 1957 حتى 1974، وكان أيضاً خلال هذه المدة أستاذاً زائراً في جامعات هارفورد وبرنستون وأكسفورد. ثم عمل بعدها مستشاراً لعدد من المنظمات الاقتصادية مثل الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وجامعة الدول العربية، ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط، ومنظمة الأغذية والزراعة الدولية، ومركز أكسفورد للطاقة وغيرها من المنظمات.

هذا ولقد كان يوسف صايغ عضواً مدى حياته في المجلس الوطني الفلسطيني منذ إنشاء منظمة التحرير عام 1964، وانتخب عضواً في لجنتها التنفيذية عام 1968-1969. كما أسس يوسف صايغ مركز التخطيط الفلسطيني التابع للمنظمة وكان أول مدير للمركز في الفترة بين 1968-1971. ثم أصبح مديراً للصندوق القومي الفلسطيني لمنظمة التحرير وعضواً للجنة التنفيذية كذلك بين الأعوام 1971-1974. وفي السنوات بين 1990 وحتى 1993 شكل الأستاذ يوسف صايغ فريقاً من الاقتصاديين والخبراء بقيادته لإعداد برنامج التنمية الفلسطيني الذي تم وضعه بهدف توجيه عملية بناء الاقتصاد الفلسطيني الجديد الذي كان يفترض ان ينبعث بعد زوال الاحتلال الإسرائيلي والمترتب على عملية السلام في الشرق الأوسط. كما كان يوسف صايغ عضواً مؤسساً لمركز دراسات الوحدة العربية ومنندى الفكر العربي ومنندى البحوث الاقتصادي.

وتمحورت كتابات الأستاذ يوسف صايغ على تحديات التنمية في دول العالم الثالث والعالم العربي على وجه الخصوص. ولقد كتب كذلك حول اقتصاديات النفط وحول آفاق التكامل الاقتصادي العربي وقطاع الأعمال اللبناني

ومواضيع غيرها. وبالإضافة إلى ما يزيد على سبعين مقالة باللغة العربية والإنجليزية فلقد نشر الأستاذ يوسف لصايغ 28 كتاباً نخص بالذكر منها المؤلفات التالية لما ساهمت به من فتح آفاق جديدة:

- الأثر الاقتصادي لمشكلة اللاجئين العرب على لبنان وسوريا والأردن (1955).
- الاقتصاد الإسرائيلي (بالإنجليزية عام 1963 وبالعربية عام 1966).
- الريادة في مجال الأعمال في لبنان: دور قائد المشاريع في الاقتصاديات النامية (1962).
- اقتصاديات العالم العربي (1978).
- محددات التنمية الاقتصادية العربية (1978).
- النفط العربي وقضية فلسطين في الثمانينات (1981).
- الاقتصاد العربي: الأداء السابق وآفاق المستقبل (1982).
- سياسات النفط العربية في السبعينات (1983).
- المقومات الاقتصادية لدولة فلسطينية مستقلة (1991).
- التنمية المستعصية: من التبعية إلى الاعتماد على الذات في المنطقة العربية (1991).

محاضرة يوسف صايغ التنمية لعام 2009

المحاضر: جومو كوامي سوندارام

الأمين العام المساعد للتنمية الاقتصادية في منظمة الأمم المتحدة

المحاضر المتميز والاقتصادي البارز في مجال التنمية الدكتور سوندارام سيحاضر حول "إستراتيجية التنمية: الدروس التنموية من الأزمة الاقتصادية العالمية". يعمل الأستاذ جومو كوامي سوندارام أميناً عاماً مساعداً للتنمية الاقتصادية في إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية التابعة للأمم المتحدة منذ كانون الثاني 2005 وهو منسق بحوث فخري للفريق الحكومي الدولي لمجموعة الاربعة والعشرين G24 لشؤون النقد الدولي والتنمية منذ كانون الأول عام 2006.

ولقد كان جومو أستاذاً في دائرة الاقتصاد التطبيقي في كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة مالايا حتى تشرين الثاني عام 2004 كما كان المدير المؤسس لمعهد التحليل الاجتماعي (إنسان) في الأعوام 1978-2004 وهو الرئيس المؤسس لإتحاد اقتصاديات التنمية الدولي (IDEAS) خلال الأعوام 2001-2004 وما زال عضواً في هيئته الاستشارية. كما كان عضواً في مجلس إدارة معهد بحوث التنمية الاجتماعية التابع للأمم المتحدة (UNRISD) في جنيف في الفترة بين 2002-2004. وكان مستشاراً لرئيس دورة الجمعية العمومية للأمم المتحدة الثالثة والسنتين خلال 2008-2009 بوصفه عضواً في لجنة الخبراء التابعة لرئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة لإصلاح النظام الدولي النقدي والمالي (لجنة ستيفليتز).

الأستاذ سوندارام متزوج وهو أب لثلاثة أبناء هم ناديا وإميل وليال. وهو من مواليد بينانغ في ماليزيا عام 1952 ولقد درس في مدارس بينانغ الحرة في الأعوام 1964-1966 ثم تابع تعليمه في الكلية العسكرية الملكية في السنوات 1967-1970 ومن ثم في جامعة بيل (1970-1973) وهارفرد (1973-1977). وقام بالتدريس في جامعة العلوم الماليزية عام 1974 وفي جامعة هارفرد (1974-1975) ثم في جامعة بيل عام 1977 وبعدها في الجامعة الوطنية في ماليزيا بين العام 1977 وحتى 1982 وفي جامعة مالايا في الأعوام 1982-2004 وفي جامعة كورنيل عام 1993.

كان السيد سوندارام أستاذاً زائراً في جامعة كامبرج (1987-1988 و 1991-1992) وعمل باحثاً رئيسياً في معهد آسيا للبحوث وفي الجامعة الوطنية في سنغافورة عام 2004. قام جومو بتأليف ما يزيد على 35 كتاباً وتحرير أكثر من 50 كتاباً آخر وترجمة 12 مجلداً بالإضافة إلى كتابة العديد من الدراسات والمقالات لوسائل

الإعلام وهو عضو في عدة هيئات تحرير لمجلات علمية متخصصة. هذا ولقد حصل جومو في 2007 على جائزة فاسيلي ليونتييف للنهوض بأفاق الفكر الاقتصادي.

من بين ابرز الكتب التي نشرها السيد سوندارام نذكر:

- النمور في أزمة: الريع والسعي وراء الريع والتطور الاقتصادي- النظرية الاقتصادية والوقائع الآسيوية.
- الكسوف في ماليزيا: الأزمة والانتعاش، العولمة بمواجهة التطور- وجهات نظر معارضة.
- النشاط الاقتصادي للأقليات القومية: الرأسمالية الصينية في جنوب آسيا.
- تجريد ماليزيا من الأشجار: الاقتصاد السياسي للتوسع الزراعي وقطع الأحراج في ماليزيا.
- السياسة الاقتصادية لرئيس الوزراء محاضر محمد- ما بعد العاصفة: الأزمة والانتعاش والتنمية المستدامة في شرق آسيا.
- السيطرة على رؤوس الأموال، إعادة الهيكلة والانتعاش الاقتصادي في ماليزيا.
- جذور اقتصاد التنمية: الاقتصاديين الرواد في اقتصاد التطوير.
- اقتصاد التطوير الحديث.
- التطور غير المتكافئ واللامساواة العالمية.
- التحرير الاقتصادي، الليبرالية، العولمة، الفقر واللامساواة.
- التمايز والانفصام في أسواق عمل قطاع الخدمات في ماليزيا.

يوسف صايغ ومآثره في اقتصاديات التنمية في فلسطين

رجا الخالدي¹

من بين مساهمات يوسف صايغ في الفكر التنموي الفلسطيني هناك مفهومين بارزين في أعماله حول هذا الموضوع. وفي كلاهما، فإن تناوله للحقائق الأساسية حول العلاقة بين التنمية والسيادة والحرية تطبيق على أي شعب، باطار دولة أو بدونه، يناضل لبلورة رؤية لتقرير مصيره الاقتصادي في عالم يتزايد فيه الانفتاح والترابط الاقتصادي. وفي السياق الفلسطيني ما زالت أفكاره صامدة وملائمة مع مرور الزمن والتجارب الفعلية في مجال السياسة الاقتصادية.

لقد نشر أول تحليل معمق للأستاذ صايغ حول الاقتصاد الفلسطيني تحت الاحتلال في منتصف الثمانينات. وكان قد تميز فكره منذ ذلك الحين بالإصرار المتواصل على عدم توافق التنمية مع الاحتلال الأجنبي و هو القائل "إن الاحتلال الطويل المدى يخلق أرضية معادية للتنمية". وقد تكون فلسطين شهدت بعض النمو الاقتصادي تحت الاحتلال بعد عام 1967 إلا أن صايغ كان أحد القلائل الذي أشاروا إلى أن هذا النمو وحده لا يساوي التنمية. وفي حين اعتقد بعض الاقتصاديين الفلسطينيين وبعض المنظمات غير الحكومية أنه قد يكون هناك مجالاً للتنمية تحت الاحتلال لم يكن صايغ ليفتتح بذلك. وكانت المقاومة التنموية والصمود بالنسبة له هي السياسة الأفضل والأكثر جدوى في غياب السيادة الوطنية. "إن التكهن حول إمكانية تحقيق التنمية في الأراضي المحتلة لهو تمرين عقيم، حيث أنه لا يمكن إلا بعد زوال الاحتلال السعي بدرجة مقبولة من الأمل لوضع وإتباع تصور تنموي وطني متكامل ونشط".

انه لمن المؤسف حقا أن هذه الحكمة لم تترجم في رؤية وسياسة اقتصادية ملموسة في فلسطين بعد توقيع اتفاقيات 1993 بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. بل على العكس من ذلك فقد أهمل كثير من صانعي القرار والاقتصاديين والمنظمات الدولية الدروس المستقاة من العقدين السابقين تحت الاحتلال. واستمر هؤلاء بإتباع مفاهيم وأطر هشّة في إدارة التنمية تحت الاحتلال.

وفي هذه الأثناء أنهى صايغ أعظم انجازاته وهو إعداد "برنامج تطوير الاقتصاد الفلسطيني 1994-2000" الصادر عن منظمة التحرير الفلسطينية. وكان هذا المشروع الطموح والذي لا يمكن إلا لشخص بمؤهلاته الوطنية والفكرية أن يقوده، هو "خطة التنمية الفلسطينية (PDP) الأصلية والتي تم نسخها بالأسم فقط من قبل السلطة الوطنية

¹ عضو مجلس أمناء معهد ماس

الفلسطينية في السنوات التالية وبصياغات مختلفة من "خطة التنمية الفلسطينية" (PDP) في منتصف التسعينات حتى "خطة الإصلاح والتنمية الفلسطينية (PRDP)" مؤخراً. وخلافاً لهذه الخطط التي كانت تهدف للتوفيق بين احتياجات السلطة الوطنية للتمويل وألويات المانحين في عملية إعادة الإعمار، فإن الخطة الأصلية عبرت عن رؤية وطنية إستراتيجية متساوقة مع برامج قطاعية مترابطة وشكلت بياناً للمبادئ والممارسات الاقتصادية المتعلقة بشكل مباشر باحتياجات اقتصاد منبعث بعد احتلال مطول.

ومن بين الملامح المميزة لخطة التنمية الأصلية أنها دعمت التقاليد الفكرية التي أرساها الأستاذ صايغ والحقائق السياسية الأساسية التي سبق له التعبير عنها. هذا ولاحقاً لرؤيته السابقة حول الاحتلال والتنمية، فقد سعى صايغ لتعريف مبادئ وأسس الجدوى الاقتصادية أو ما أطلق عليه اسم "مقومات" التنمية الفلسطينية. وهنا أيضاً لم يترك مجالاً للإرتباك إذ بالرغم من "ترتيبات الحكم الذاتي الفلسطيني" الموروثة من اتفاقيات أوسلو فإنه لا يمكن تحقيق تنمية مستدامة في فلسطيني إلا عبر تحقيق السيادة، وحتى ذلك الحين فإنه لا يمكن توجيه الاقتصاد نحو السيادة والتنمية إلا بإتباع برنامج وطني وسياسة ابتداعية لإعادة هيكلة وبناء الاقتصاد.

إن هذه الرؤية الجلية جداً والمهملة من قبل صانعي القرار بالرغم من ذلك خلال ما يزيد على العشرين سنة الماضية منذ طرحها هي بمثابة الميراث الباقي ليوسف صايغ في ميدان فكر التنمية الاقتصادية الفلسطيني. وعلى مدى سنوات الحكم الذاتي التي سبقت انتفاضة الأقصى ومنذ بدء الاستعدادات التجريبية لإقامة الدولة فإن العبرة الأكثر أهمية ليوسف صايغ ما زالت تنتظر الإدراك والتقدير.

يوسف صايغ ومآثره في التكامل الاقتصادي العربي

ليلي فرسخ¹

كان يوسف صايغ اقتصادياً تنموياً من الطراز المميز وقومياً عربياً بعمق حين قال منذ 1961 أن التنمية ليست ثراءً ونموً فحسب بل هي "توزيعاً أفضل للدخل وزيادة الرفاه للجماهير" وأضاف أنه حينها فقط "يمكن أن يقال أن مجتمعاً ما قد حقق التنمية بالمعنى الكامل من حيث شمولية التقدم الاقتصادي والاجتماعي حيث أن محتوى التنمية اجتماعياً وسياسياً وتقنياً بمقدار ما هو اقتصادي" ولقد رأى صايغ التنمية مسعىً فردياً كما هي مشروعاً وطنياً/ جمعياً على حد سواء للتوصل إلى التمكين الاقتصادي والاجتماعي. إن التنمية بنظر يوسف صايغ هي عدالة اجتماعية وتوزيع للثروة ولكن بمعنى شمولي أوسع مما هو متعارف عليه اليوم حول اثر النمو الاقتصادي التلقائي على تحسين حال الفقراء.

كان صايغ مهماً بالتنمية المستدامة أو ما كان يعرف حينها بالنمو المتوازن في وقت كان فيه كبار اقتصادي التنمية أمثال روستو Rostow وغيره يؤكدون على أهمية النمو الصناعي في الدول النامية بينما كان صايغ يركز على أهمية التطوير الزراعي. ومثله مثل آرثر لويس من قبله، فقد كانت حجته أن الزراعة لا تلعب دوراً في توفير الغذاء للسكان فحسب بل أيضاً في توفير المدخرات كمدخلات للصناعة. وفوق هذا كله فإن النمو الزراعي يعتبر مركزياً في عملية توزيع الثروة على الفقراء وبالتالي خلق مجتمع أكثر عدالة ومساواة. هذا ولم يتورع يوسف صايغ عن الدعوة إلى الإصلاح في مجال الأراضي وجادل ضد الاعتماد على قوى السوق وحدها لدفع الإنتاجية الزراعية والرفاه الاجتماعي.

لقد ركز صايغ في كتاباته حول اقتصاديات النفط في الدول العربية في السبعينات على ضرورة التنمية المتكاملة للقطاعات الاقتصادية المختلفة أو استثمار عائدات النفط لتطوير قطاعي الصناعة والقوى العاملة في هذه الدول. وأعرب عن أسفه لفشل الدول العربية المنتجة للنفط في تنويع إنتاجها الاقتصادي وخلق قوة عمل منتجة بدلاً من مجتمع استهلاكي وعدم تمكنها من الاستثمار في عملية التكامل الاقتصادي مع الدول العربية المجاورة.

ولقد توقع صايغ أن تكون طبيعة النمو في الدول العربية المنتجة للنفط سريعة الزوال بسبب الاعتماد على تقلبات أسعار النفط ومتراكمة رأس المال الذي انتهى بمجمله في استثمارات في الغرب بدلاً من استثماره في الأرض العربية.

² هذه مقاطع من دراسة عن الدكتور يوسف صايغ أعدتها الباحثة بعنوان:

"Development and Occupation: Revisiting Palestinian Economy in Light of Yusuf Sayigh's Legacy", in Michael Hudson (ed.), *Palestine and the Palestinians Today*, (London: Routledge, forthcoming 2010)

وعندما تناول سبل تحقيق التنمية كان يوسف صايغ مدافعاً عن التنمية التي تقودها الدولة وهكذا كان يعتقد مثل أكثر المفكرين في مجال التنمية في الخمسينيات والستينيات بأن قوى السوق لا يمكنها خلق النمو العادل والمستدام من تلقاء نفسها. فقد كان مدركاً للتحديات الخاصة التي تواجه دول العالم الثالث والتي تأخرت في التصنيع فباتت تواجه منافسة دولية أشد ممن سبقهم لذلك. وأوضح صايغ كذلك أن الدول النامية واجهت مشاكل داخلية أكثر صعوبة بدءاً من مقاومة القيادات التقليدية للتغيير إلى معدلات النمو السكاني السريع والمطالب الشعبية القوية بإعادة توزيع الدخل حيث لم يكن من السهل التوفيق بين هذه الاحتياجات المتعارضة عبر السوق.

وعلى اعتبار أنه من مناصري العالم الثالث فقد رأى يوسف صايغ أن للقومية دوراً أساسياً كفكر وسياسة في تحقيق التنمية المستدامة. وبالرغم من إدراكه أن التنمية التي تقودها الدولة قد تتجه باتجاه خاطئ نظراً لأنها قد تعزز المحسوبية وعدم الكفاءة، إلا أنه كان يعتقد بأنه يمكن لقيادة وطنية مسؤولة وخاضعة للمحاسبة أن تمنع الفساد وتضمن أن تكون التنمية عادلة ومستدامة. وحسب رأي يوسف صايغ فإنه لا يمكن الفصل بين التنمية والديمقراطية لأنها تستدعي وجود قوى معارضة مسؤولة ونشطة. ولكن مذهبه المثالي وآماله في الستينيات اصطدمت في السبعينيات بفشل قادة الدول المنتجة للنفط بأن يكونوا أصحاب رؤية واضحة ويتجنبوا السقوط في فخ الاقتصاديات الأجيحة على الرغم من حسهم القومي. هذا ولقد أبدى يوسف صايغ أسفه على محدودية المشاركة الشعبية في عملية صنع القرار مما كان له الأثر في حرمان الشعب من مساهمة قياداتهم فيما يتعلق بعود التنمية.